يسيرون نحو التسليم به عِوضا عن دفع الثمن بإزالة المشروع النووي الاسرائيلي

المشروع النووي الايراني يثير حيرة حقيقية لدى اسرائيل وامريكا

■ الدولة الاولى في العالم التي قصفت مفاعلا نوويا كانت ايران. طائرات الفانتوم التابعة لسلاح الجو الايراني هاجمت المفاعل النووي العراقي قرب بغداد في تشرين الاول (اكتوبر) 1980 بأوامر من الخميني. الهجمة التي تزامنت مع الاجتياح العراقي لايران، فشلت، ولكنها كانت بمثابة سابقة قد تُستخدم ضد صانعيها. الدولة التي يسعى قادتها جهارا، من الخميني وحتى أحمدي نجاد، لتدمير اسرائيل، تعتبر بالنسبة لها هدفا مشروعا بدرجة لا تقل عن العراق في السابق بالنسبة لايران.

بين ايران واسرائيل توجد الآن حالة من اللاتماثل. الايرانيون يعربون صراحة عن رغبتهم في الحصول على السلاح النووي، إلا أنهم لا يمتلكون القدرة بعد. اسرائيل تملك القدرة على ضرب خلايا حيوية وهامة في المنظومة الايرانية ـ حسب قول خبراء عسكريين ومنهم من كانوا ضالعين في مهاجمة مفاعل تموز العراقي في عام 1981 ـ إلا أنها لا ترغب في تجسيد هذه القدرة. خلاصة التقدير الاسرائيلي تتكرر في الاسابيع الأخيرة مرارا على لسان رئيس هيئة الاركان دان حلوتس: الخطر الذي تشكله ايران وجودي، إلا أنه ليس عاجلا خصوصا في عام 2006، والخوف من تجدد العنف في الجبهة الفلسطينية وعلى الحدود اللبنانية أكثر احتمالا وإن كان أقل شدة وخطورة.

التصريحات التي تصدر عن السياسيين في وزارة الدفاع وديوان رئيس الوزراء أكثر حماسية. وهي خلافا للارتياب المتوقع عشية الانتخابات، مكرسة للاستهلاك الخارجي بتنسيق غير ظاهر مع الادارة الامريكية ـ التجسيد لدول اوروبا واعضاء مجلس الأمن والأسرة الدولية أن الأزمة في القوة جدية. اذا اخطأت اسرائيل بسبب شدة حماستها لعدم قيادة المجابهة وقللت من شأن الخطر الايراني، فستوفر لاوروبا ذريعة مريحة وسهلة للتنصل من الجهود المطلوبة للتصدي السياسي.

أصداء تهديدات اهود اولمرت وموفاز ترددت في واشنطن، كما كان مطلوبا أصلا. السناتور جون ماكين، أحد كبار المتطلعين لترشيح نفسه للرئاسة عن الجمهوريين في عام 2008، والذي يعتبر جورج بوش دعمه هاما له في الورطة العراقية وعشية الحسم تجاه ايران، استذكر أمس الاول التحذيرات الاسرائيلية بلهجة ايجابية باعتبارها مؤشرا للقلق الصادق. ماكين قلق ليس على مصير اسرائيل فقط: ايران النووية ستتسبب في تسلح السعودية ومصر وسوريا وتركيا بالذرة، وما سيحدث لأسعار النفط.

البُعد الأصعب بالنسبة لاسرائيل في هذه القضية ليس الذرة الايرانية وانما الذرة الاسرائيلية ـ الادعاء الذي تطرحه واشنطن في هذه القضية عادة تمييزي ويكيل بمكيالين ذلك لانها كفت عن سياسة الضغط على اسرائيل في هذه القضية كما كانت تفعل في الستينيات، وسلمت بما يحدث بالخفاء في ديمونة. هناك اذن ادعاءات مضادة (اسرائيل لم تغش نظام حظر الانتشار النووي لانها لم تشارك في هذه المعاهدة، وهي لا تدعو الى تدمير ايران أو أي دولة اخرى)، إلا أنها ليست كافية في حالة فشل المجابهة السياسية اذا واجه بوش خيارا قاسيا: حظر شن حرب مكلفة على ايران أو إزالة التفرقة التصحيحية ـ الناجمة عن الكارثة النازية ـ تجاه الذرة الاسرائيلية كثمن يُدفع لايقاف المشروع النووي الايراني.

يبدو أن الاسرائيليين والامريكيين سيُسلمون رغما عن أنوفهم بالذرة الايرانية حتى يتملصوا من دفع هذا الثمن، اذا تشكل في طهران نظام علماني متعاطف مع الغرب ونظيف من الارهاب. توماس شلينغ، الحائز على جائزة نوبل من مبتدعي نظرية الألعاب ومن المفكرين الموهوقين الاستراتيجيين في العالم، تحدث عن ذلك مؤخرا. في مقابلة صحافية أثنى شلينغ على ضبط حكومة غولدا مئير لنفسها عندما لم تستخدم الذرة خلال ضائقتها في حرب يوم الغفران، ودعا ايران الى اتباع النموذج الاسرائيلي والهندي والباكستاني الذين وعدوا بحيازة الذرة لأهداف «الدفاع عن النفس والردع» فقط وليس من اجل استخدامه.

شلينغ يتعامل مع المشروع النووي الايراني باعتباره حقيقة شبه قائمة. وخلال ذلك توجد لديه فكرة السماح لايران بالحصول على التكنولوجيا المتطورة للتحكم في السلاح النووي حتى لا يتمكن المتعصبون الدينيون من إفلات صاروخ شهاب 3 لابادة اسرائيل والتسبب من جراء ذلك بابادة مقابلة لايران.

أمير أورن
مراسل الصحيفة لشؤون الجيش
(هآرتس) 2006/1/24

كديما وحماس تجسيد لجنون السياسة احادية الجانب

الفوضى السياسية في الساحتين الفلسطينية والاسرائيلية من صنع البشر

■ كان بامكان الضيف القادم من بعيد، الذي كان سيزور اسرائيل والمناطق المحتلة اليوم، أن يعتقد أن فيروسا عدوانيا قد شوش أفكار الشعبين من الناحية السياسية. هؤلاء يندفعون نحو حزب وهمي برئاسة قائم بأعمال لقائد في اجازة مرضية، واولئك يضعون مصيرهم وآمالهم في يد حزب ديني يُغري الاولاد الصغار للصعود الى السماء حيث تنتظرهم 70 من الحور في الجنان. مع قدر قليل من الجهد كان بامكان هذا الضيف أن يكتشف جذور المرض. ليس هذا قدرا محتوما من السماء، بل هو فوضى من صنع بني البشر. كديما وحماس، هما تجسيد عنيف لجنون السياسة أحادية الجانب.

كديما يُشيد على أنقاض الثقة الاسرائيلية الشعبية بفرص حل الصراع ـ وعلى الثقة المتزايدة ـ بامكانية ادارة هذا الصراع كما نرغب نحن، ليس من خلال المفاوضات وانما انسحابات اضافية وتصفيات جديدة واغلاقات. أما حماس فهي قائمة على نفس الأنقاض في الجمهور الفلسطيني وعلى الثقة بامكانية ادارة الصراع كما يرغبون: ليس من خلال المفاوضات وانما عبر المزيد من العمليات والصواريخ والمزيد من السيطرة على السلطات المحلية والمقاعد في البرلمان.

يوصى كل من يُسلون أنفسهم الآن بأمل برود رؤوس أتباع حماس بعد أن يُدفئوا كراسي البرلمان، بأن يقرأوا ما صرح به محمود الزهار في اجتماع انتخابي في مطلع هذا الاسبوع في شمالي القطاع: «كتائب عز الدين القسام ستبقى قوة وتواصل تطوير الاسلحة». أي أن جناح حماس لن يتخلى عن سلاحه بعد الانتخابات، لا بل سيقوي نفسه بأضعاف المرات.

من اجل إزالة الشكوك بصدد مساعي حماس للانخراط في المؤسسة، قال الزهار إن حركته ستلاحق الفاسدين والعملاء (السلطة الفلسطينية) وكل الذين سرقوا مال الشعب وانجازاته بواسطة القانون.

الظاهرة الأكثر غرابة في السياسة الاسرائيلية هي أن الورقة المنتصرة في الانتخابات القادمة في اسرائيل قد تكون الافتراض بأن خلفاء شارون سيسيرون على دربه. هذا نفس الطريق الذي سيُسهم في تحويل حماس في انتخابات السلطة بعد غد الى طرف ريادي وشرعي في السياسة الفلسطينية. تشخيص العلاقة بين فك الارتباط عن غزة وفكه عن أبو مازن وبين هبوط أسهم فتح وصعود قوة حماس، ليس حكمة كبيرة ولا تبصرا متأخرا.

في مطلع صيف 2005 وقبل الموعد الأصلي لانتخابات البرلمان الفلسطيني، دعا شاؤول موفاز اليه البروفيسور عمانويل سيفان، الذي يضع علمه منذ سنوات رهن اشارة قسم الابحاث في شعبة الاستخبارات العسكرية، وكذلك الدكتور ماتي شتنبرغ الذي كان مستشارا لرئيسين للشاباك. موفاز طلب من الخبراء أن يقدروا له تناسب القوى السياسي في المناطق. وقرابة نفس الموعد كان شتنبرغ قد استعرض الوضع في المناطق أمام وزارة الخارجية.

شيء ما من الأمور التي وردت في تلك اللقاءات يمكن أن نجده في مقابلة شتنبرغ مع «هآرتس» في حزيران (يونيو) 2004 إذ قال إن التيار الوطني برئاسة فتح تبنى حل الدولتين، إلا أن عدم تحقق ذلك أدى تدريجيا الى زيادة التطرف الذي يتغذى من الطريق المسدود سياسيا. وهذه كانت خلفية «المجتمع الانتحاري» الذي يضفي الشرعية على الانتحارين. واستخدام اسرائيل في هذا الوضع للمزيد من القوة يكرس الشعور لدى الفلسطينيين بأنه لا يوجد ما يخسرونه، وعليه، قللت العمليات العسكرية هامش العمل السياسي وكرست واقعا هداما ثنائي القومية ولا مخرج منه إلا من خلال الانسحاب أحادي الجانب من دون مقابل، الامر الذي يتلاءم، لشدة الأسف، مع استراتيجية حماس.

شتنبرغ حذر موفاز ومستشاريه بأن الفراغ السياسي لا يجتذب حماس وحدها وانما حزب الله وايران والقاعدة. وأوصى بأن تقوم اسرائيل بخطوات تظهر نجاعة البراغماتيين الفلسطينيين مثل اطلاق سراح السجناء، وأن لا تُقدم على تأجيل الانتخابات لأنه لن يشفي هذا المرض بل سيزيد من صعوبة الوضع.

موفاز وشالوم أصغيا باهتمام وصبر. فرغم ضيقهما مما يسمعانه إلا انهما عرفا أن ما يقولانه صحيح، وإن كان كبار المسؤولين في البيت الابيض والخارجية الامريكية صحبة جيدة فمن الممكن القول إن شالوم وموفاز في صحبة جيدة. قبل فك الارتباط بمدة قصيرة وصل الى واشنطن وفد من أبو مازن مناشدا أن يقوم شارون بالاظهار على أنه يُسلم غزة للسلطة، وإلا فان حماس ستسجل ذلك في رصيدها. الوفد أدرك بسرعة أن بوش لم يتعلم كثيرا حول تحدي الحركات الاسلامية للحركات الوطنية في العالم العربي، وبدلا من ذلك أرسلهم للقضاء على البنية التحتية للارهاب.

عكيفا الدار
المراسل السياسي للصحيفة
(هآرتس) 2006/1/24

الانتخابات لن تغير كثيرا في وضع سكان المناطق

الاسرائيليون يطلقون على اللامبالاة العامة بالانتخابات الفلسطينية «جدلا سياسيا»

■ الانتخابات للبرلمان في السلطة الفلسطينية، التي ستجرى اليوم الاربعاء تثير حمى من التصريحات بين الساسة، لكن اكثر الاسرائيليين يصعب عليهم الاهتمام بها. الفرق بين الحماسة السياسية وبين عدم المبالاة العام يشهد فقط بمبلغ عفن، وكليشيهية وعدم صلة ما يزال يسمى «الجدل السياسي».

يستمسك الساسة بمشاركة حماس في الانتخابات كالغريق الذي يستمسك بالقشة. المنظمة الاسلامية، ومجرد مشاركتها في العملية السياسية تطور فلسطيني داخلي مهم، هي عند المفتشين في الاصوات عندنا أثر باق اخير من الطوطمية القديمة، اولئك الذين يمكن التلويح بالاصابع في وجوههم، وان يقال مئة مرة «لا أبدا» و «لا يخطر على البال» واظهار وقوف صهيوني منتصب. يمكن مرة اخرى أن نبحث بتعمق هل «يمكن لحماس أن تشارك في الانتخابات»، وكأن الامر في ايدينا في الحقيقة، وكأنه من غير البين لجميع الناطقين ان العالم لن يقبل تدخلا كهذا؛ يمكن مرة اخرى ان يوبخ من «يسمح لحماس بالقيام بدعاوة في القدس»، لان اسم عاصمتنا الموحدة الى أبد الابدين لا يشبهه شيء في قدرته على منح الناطق احساسا يثير الغضب المقدس عند جمهوره. يمكن مرة اخرى التحذير من «فوضى عند الفلسطينيين»، وكأن المناطق لا تغرق في الفوضى والاضطراب اللذين اسهمت اسرائيل اسهاما كبيرا في نشوئهما، بغير صلة بالانتخابات.

هذا الصوت والغضب السياسي يمران فوق رأس الجمهور. ادرك الاسرائيليون منذ زمن ما يعلمه الواعون من الساسة أيضا: قضي الامر. الحسم في حدود دولة اسرائيل المستقبلة اصبح هنا، وهو مقبول عند نسبة عالية جدا من الاسرائيليين (الذين ايدوه ايضا في ايام الارهاب الاشد): ستكون دولة فلسطينية، وعاصمتها القدس تحت هذا الغطاء أو ذاك. وستكون الحدود قريبة جدا من حدود 1967، اذا لم تماثلها مماثلة تامة. ولسنا نحن، بالرغم من كل الخطابة الفصيحة واوهام الانفصال على اختلاف ضروبها، من سنختار المكان والزمان اللذين سيصبح فيهما هذا الاجراء الحتمي واقعا. هذا هو ادراك ذلك المركز الاسرائيلي (وهو في واقع الامر ليس مركزا بل هو الجمهور كله تقريبا)، الذي تطمح الاحزاب الى اكتساحه. هنالك من يريد أن يفرق بينه وبين من يقف على يمينه بالشعرة الخطابية، ومن يطلب الالتفاف عليه، عند الخط المماس حقا من اليسار ـ لكن ليس الحديث سوى عن سيرك العاب كلامية. اكثر الاسرائيليين لا يعطفون على الفلسطينيين. ولا يريدون ان يميزوهم بعلامات حقيقية، والتفريق بين حماس وفتح يهمهم كما يهمهم تقريبا «حمل المسؤولية» الدورية بعد العمليات التفجيرية. التحليلات، فيمن يريد التوصل معنا الى مفاوضة ولا يستطيع. مثل الكثرة الفلسطينية، كما تتضح في استطلاعات الرأي، يعلم المركز الاسرائيلي ايضا ان الانتخابات لن تغير كثيرا في وضع سكان المناطق. فالوضع الاقتصادي والسلطوي فيها، بعد سنوات عرفات التي لم يتم فيها شيء من أجل اقامة الدولة المستقبلة وبعد خمس سنين من القتال والاحتلال من جديد، أصعب من أن تستطيع اي سلطة ما، وليست السلطة الحالية يقينا، اصلاحه في المستقبل القريب.

يعلم المركز الاسرائيلي ايضا، بعد أن علم ذلك جيدا وعلى نحو مؤلم في السنين الخمس الاخيرة، ان قوتنا العظيمة تستطيع ان تسبب للفلسطينيين المعاناة والالم الى أبعد الحدود، لكنها لا تستطيع منع الارهاب، وقمع المطامح القومية او تغيير سير التاريخ. لهذا كل ما بقي لنا هو النظر الى من يطلب اصواتنا، وهو يقوم بدوره في العرض ويعرض جدلا حماسيا في مكان لم يبقَ فيه سوى الخطابة.

عوفر شيلح
كاتب دائم في الصحيفة
(يديعوت أحرونوت) 2006/1/24

طفلان فلسطينيان يقفان عند مدخل مركز للاقتراع وتظهر ملصقات المرشحين على الباب (اف ب)

على اولمرت أن يفعل مثله من خلال التسامي وقوة التأثير والفعل

شارون رجل ذو شخصية مزدوجة الابعاد وانقلابه الايديولوجي بدأ كمناورة انتخابية وانتهى بتغير حقيقي

■ زوال شارون المذهل عن عناوين الصحف وهو ما زال حيا يرزق ولكن في الغيبوبة، هو آخر مسألة كنت أتوقع حدوثها في هذه الفترة. خلال عملي الصحافي تسنى لي أن التقي مع كل رؤساء وزراء اسرائيل حتى خلال محطات عبورهم كضباط وناشطين حزبيين ووزراء. كان بينهم اشخاص كانوا ورثة طبيعيين. وكان آخرون وصلوا الى القمة إثر تبدل الأجيال والموت الفجائي أو الانقلابات السياسية. تحول شارون الذي لم يعتبروه في السابق ملائما لرئاسة هيئة الاركان والذي عُزل من منصب وزير الدفاع والذي التف على اسحق شامير وموشيه آرنس من اليمين، الى رئيس وزراء مقتلع للمستوطنات ورجل سلام ذو هالة دولية ـ كان مسألة غير عادية.

علاقتي مع شارون السياسي شهدت صعودا وهبوطا وأطوارا غريبة وانحدارات. اريك وليلي كانا يصالحان ويخاصمان وفقا لحسابات مضبوطة. هما كانا في خصام معي إثر انتقاداتي لحرب لبنان. كنا نلتقي في حينه بين الفينة والاخرى في غرفة الطعام في فندق تل ابيبي وفي كل مرة كانا يخرجان فيها حرصا على المرور من جانبي حتى يُظهرا أنهما لا يردان على تحية الصباح التي ألقيها عليهما. إلا أن سياسة هذين الزوجين المنسجمين في سلوكهما تغيرت ذات صباح وعادا الى الابتسام في وجهي والقاء تحية الصباح عليّ. ولهما اعتباراتهما في ذلك.

أنا أذكر شارون صاحب اللسان اللاذع. ذات مرة قال لي: «هل تعرف لماذا لا يعطيني شمير حقيبة الخارجية؟ لأنه يعرف أنني مستعد للتنازل عن المناطق». وبعد السخرية جاء الثناء: «شمير هو في الواقع آخر الحالين بأرض اسرائيل الكاملة». كان لشارون صوتان. صوت قوي وحازم مخصص للمقابلات المذاعة، وصوت هادىء عندما يرغب في استخدام سحره الجذاب في المحادثات الشخصية. في هذه المحادثات كان شارون يحتفظ بدفتر تسجيل صغير أزرق ويسجل فيه كل الملاحظات التي يطرحها نظيره. أنا لم أتأكد حتى يومنا هذا اذا كان ذلك مجرد إيماءة تزلف منه أم تسجيلا حقيقيا جوهريا. ذروة الاهتمام بي كانت خلال مأدبة عشاء في مزرعته. عشية تعيين شارون وزيرا للدفاع في عام 1981، دُعيت الى هناك واشتكيت خلال محادثتي معه من أحد مساعديه الهامين الذي يدعو الصحافيين والضباط ويتحدث معهم بلهجة مهددة. شارون ابتسم وقال من دون أن يرمش له جفن، إنه ينوي أصلا تعيين هذا المساعد مساعدا رئيسيا له. هذا الشخص قرأ في اليوم التالي في صحيفة «هآرتس» أنه قد أُقيل من منصبه. بعد عدة فترات من الخصام والصلح، اتفاق اوسلو واغتيال رابين، وانتصار بيبي، وهزيمة بيبي الذي ترك الليكود يتضرج بدمائه ـ صعد شارون على درب رئاسة الوزراء. علاقتي معه انتقلت منذئذ الى مرحلة السلام. في فترة ما بين نهاية 2001 ـ 2001 كنا نلتقي بين الحين والآخر في متسودات زئيف، مقر الليكود. كنت أتصل مع سكرتيرته المخلصة ميراف ليفي، فتُرتب لنا اللقاء ببساطة. لم يقم بخطوة دون أن يحسب حسابها. الانقلاب الايديولوجي الذي اقدم عليه بدأ في حملته الانتخابية مع شعار «السلام والامن». منذ كانون الثاني (يناير) 2001 جسد شارون شخصية الرجل المتزن والمتطلع للسلام، في البداية كان ذلك ربما خدعة لاجتذاب الناخبين للوسط الا انه دعى الفلسطينيين خلال خطاب عرض حكومته الى العودة للمفاوضات وحل النزاع من خلال التفاوض. ما لم يرد في خطابه كان اكثر اهمية مما ورد فيه: هو لم ينف اقامة الدولة الفلسطينية ولم يقل كلمة واحدة عن اقامة المستوطنات وتوسيعها او عن ارض اسرائيل الكاملة. بيبي الذي كان يجمع المال في المهجر الامريكي توقع أن لا تصمد حكومة شارون اكثر من ثلاثة اشهر. شارون لم يرد عليه الا ان عيونه كانت تضحك. ما بدأ على ما يبدو كخدعة شارونية نمطية تحول الى تغير حقيقي. اربع سنوات مرت الى ان كشف لصحيفة «هآرتس» في الثاني من شباط (فبراير) 2004 عن خطته لفك الارتباط.

ايهود اولمرت القائم باعماله كان البوق الذي يسير امامه بكثير في قضية فك الارتباط. الا ان شارون السياسي الماكر اثار حوله هالة تقول انه هو وحده القادر. من دون الثقة بهذه القوة التي عبرت عن نفسها خلال اخلاء غزة في ستة ايام لم يكن بامكانه ان يشكل كديما بحركة من يده التي ستصبح فائدة عملية التوصل للتسوية الدائمة. ليس كافيا للقائم باعمال شارون الذي سيخلفه ان يكون مواصلا لنهجه وسيكون بحاجة الى اقناع الناس بانه يملك السمو والقدرة في الوصول الى النقطة التي يقولون فيها عنه انه وحده القادر.

يوئيل ماركوس
معلق دائم في الصحيفة
(هآرتس) 2006/1/24

استعداد نتنياهو للدخول في تسويات سياسية مليء بالتناقضات ويثير جدلا لا يساعد إلا على زيادة تعقيد برنامجه

■ مرة ثانية عاد نتنياهو أول أمس الى عرض برنامجه السياسي خلال كلمته التي ألقاها في مؤتمر هرتسليا الذي يعتبر بديلا ثانويا لسياسة رسمية. فقد واصل التمسك بمقولاته السياسية وشعاراته المعروفة: «اذا أعطوا أخذوا، واذا لم يعطوا لن يأخذوا». وشعار «لا للانسحاب أحادي الجانب»، وايضا شعار «لا توجد وجبات مجانية.. لا مبادرات حسن نية ولا غيرها». إن حسم اللعبة كما يفكر بها نتنياهو (لا بد ان يكون عملية «متبادلة»).

ليس من المعقول أن ننظر الى هذه الأفكار على نحو سلبي تام فقط، ولا السخرية منها، ولا إفراغها من محتواها، إلا أن نظرة سريعة لأمرين تؤكد لنا بأن التراجع الواضح في عدد ونوعية العمليات المسلحة الفلسطينية التي تقع، وكذلك نظرة العالم ومستوى تعامله مع اسرائيل منذ تنفيذ الانسحاب الاسرائيلي من قطاع غزة، تثبت دون شك، وبسرعة، أن نبوءاته وأفكاره في تراجع، وأنها ليست كما توقعها ويظنها. ولكننا لا نخدع أنفسنا بذلك، وقد يعود مستوى الارهاب الى الارتفاع من جديد ويزداد العنف في أعقاب الانتخابات التشريعية الفلسطينية.

وتحديدا لأن ما ورد في خطاب نتنياهو بالغ الأهمية، فانه لا بد من مطالعة أمرين أساسيين والنظر اليهما بأهمية واحترام دون التقليل من شأنهما:

لقد تحدث نتنياهو في خطابه عن أمور كثيرة، وذكر من بينها أنه هو الذي عقد الاتفاق (مع الفلسطينيين طبعا) حول مدينة الخليل، وذلك من خلال حرصه وعدم استعداده لرؤية الأمور من منظار أفضل، وكذلك نظرا لتخوفه القديم ـ الجديد، ومن خلال فهمه الذي لا يريد أن يتزحزح عنه «بقدر ما يُعطوا.. يأخذوا»، وتخوفه من التصادم مع المستوطنين اليهود، فانه قسّم مدينة الخليل طولا وعرضا بين اليهود والعرب بطريقة أشعرت كلا الطرفين بأنه «مخنوق» في حلقه، وأنه «لا يمكنه التقيؤ ولا ابتلاع» هذه القسمة العجيبة. وهو ايضا الذي أشار بعلامة النصر V على أنه الذي أعاد للفلسطينيين في حينه 13 في المئة من اراضي الضفة الغربية، وهو الأمر الذي أدى في عام 1999 الى إسقاطه من الحكومة على يد اليمين الاسرائيلي.

الذين أسقطوه من الحكومة في ذلك الوقت لا زالوا، هم، بين زعامات ونشطاء الليكود، ولن يسمحوا له بالتأكيد بالانضمام الى تكتل سياسي جديد قد يسمح مرة ثانية بخطوات من ذلك القبيل (والتي أسقطته خطوة واحدة مثلها) ولذلك فهو يتفاخر بمقولات وأفكار برامجية لا توجد لها اغلبية في حزبه.

زعيم الليكود لا يريد أبدا مواصلة السيطرة على الفلسطينيين، فهذا أمر جيد، ولكن ماذا ينوي العمل وما الذي يفكر بأن يُبقيه لهم؟ فاذا ما قبلت اسرائيل رأيه وتوصيته وواصلت الاحتفاظ بسيطرتها وسيادتها على منطقة غور الاردن، فانها تكون بذلك تعرض على الفلسطينيين «غيتو»، وأن دولة فلسطين لن تكون أكثر من هذا الغيتو. ومفهوم أن برنامجا سياسيا كهذا كـ «الفم الذي لا يحفظ الماء فيه». فتسوية حقيقية ونهائية مع الفلسطينيين يجب أن تقطعهم وتُبعدهم عن مياه نهر الاردن، فغور الاردن ليس بحاجة الى مزيد من الترتيبات الأمنية، ولذلك فان السيادة ليست ضرورية، بل انها زيادة عن المطلوب.

نتنياهو طالب ايضا بضرورة توسيع ـ إطالة ـ امتداد جدار الفصل في الضفة الغربية ليعود كما كانت الجهات الأمنية قد خططت له في البداية، وهو المخطط الذي انتهى أمره ونسيه العالم، ونذكر أنه في الوقت الذي تجاذب فيه اليمين واليسار في اسرائيل الشد والسحب بقوة في موضوع «أين يكون مسار الجدار» في الضفة الغربية، وأن ذلك الجدل والصراخ كان أحد الاسباب المهمة التي نبهت الامم المتحدة والعالم وأثارت خوف وزعم الفلسطينيين وغضبهم.

إن العودة الى توسيع وإطالة جدار الفصل عام 2006، أي بعد مرور خمس سنوات وسقوط أكثر من ألف قتيل، ليست إلا وصفة (دواء) لصراع يهز العالم، وسوف يدفع بأعظم أصدقاء اسرائيل والمدافعين عنها الى أحضان أعداء اسرائيل (الولايات المتحدة)، وكذلك فان هذا الأمر سوف يوصلنا الى مواجهة حقيقية وقوية مع الاتحاد الاوروبي، وكذلك مع محكمة العدل الدولية، ومع قضاة محكمة العدل الاسرائيلية (في القدس) والتي أصرت على ضرورة «عدم الضرر في مقومات الحياة للفلسطينيين» الذين يشتغلون في اراضيهم ويزرعون مزروعاتهم.

كيف سيعمل على إطالة هذا الجدار؟ ماذا سيقول للادارة الامريكية التي وعد خلال كلمته بتقوية العلاقات معها؟ وأن يصلح هذه الاوضاع أحسن؟ وكذلك ماذا سيقول لاوروبا التي تتعالى فيها الاصوات التي تطالب بمقاطعة المنتجات الاسرائيلية؟ ولأنني أعتبر نتنياهو رجل دولة مسؤولا، فانني أعتقد تماما بأنه اذا وصل الى سدة الحكم وأصبح رئيسا للوزراء في اسرائيل، فانه سيتخلى عن مطلبه توسيع هذا الجدار كما أعلن وهو لا يزال في المعارضة. وهنا تكمن التناقضات العميقة والأساسية في خطاب نتنياهو وفي مواقفه التي وردت والتي تُظهر تعقيدا لا بد من رؤيته بروية: فكلما فكر نتنياهو واعتقد بضرورة زيادة طول جدار الفصل في الضفة الغربية، فانه سيعتمد بذلك على (ويطلب دعم) على الولايات المتحدة والدول الاوروبية، ويسعى لموافقتهما، واذا فعل ذلك فانه سيقدم لهما بديلا مُرضيا في أمل الحصول على الموافقة، وهذا البديل سيتمثل في موافقته على اجراء المزيد من الانسحابات في الضفة الغربية والتي ستكون من جانب واحد، وهذا الانسحاب سيعتمد نظريا على المقولة «انه لا يوجد شريك للتفاوض معه من بين الفلسطينيين»، وهذا لكي يتمكن من تحديد ورسم حدود لاسرائيل، ولو مؤقتة، تكون قابلة للدفاع عنها وغير مرتبطة بزمن محدد. فكلما أصر على نظريته «عدم الاتفاق والتحدث مع الفلسطينيين إلا بعد الحصول على المقابل ـ الثمن ـ فانه سيضطر الى الإقدام على توسيع الجدار»، ومن اجل توسيعه سيضطر الى إرضاء العالم، ومن اجل إرضاء العالم سيكون مضطرا لانسحابات جديدة. لذلك، فمن الأجدر به أن يتحدث ويقول صراحة ما الذي يفضله أكثر!.

المشكلة الثانية هي أن نتنياهو يعارض، وبشدة، انسحابا اسرائيليا أحادي الجانب، وذلك لأن مثل هذا الانسحاب يكشف عن قلب اسرائيل الذي سيصبح مُعرضا لاصابته بصواريخ القسام، لكنه في نفس الوقت يتجاهل سيناريو آخر محتمل الوقوع: فاسرائيل ستقوم باخلاء مستوطناتها الصغيرة المنعزلة، ونقلها الى الكتل الاستيطانية الكبيرة التي يمكن الدفاع عنها بواسطة جدار الفصل، ولكنها في نفس الوقت لتفعل ذلك، وبعد أن تفعل ذلك عن طريق انسحاب أحادي الجانب فانها عمليا تكون قد أرسلت بجنودها الى خارج حدودها، فلا ضرورة لإبقاء مستوطنة يهودية في منطقة اعتُبرت وأُعدت لتكون «دولة فلسطين»، ومن ثم إرسال وحدات قتالية من شبان اسرائيل للدفاع عنها، فليس من المعقول أن تبقى عائلات يهودية كثيرة الاولاد تعيش على أرض ليست لها، وباعترافنا.

حزب الليكود يدعي بأن خصومه (أي الاحزاب الاسرائيلية الاخرى أمثال كديما والعمل) تنوي الانسحاب الى حدود حزيران (يونيو) 1967 ولكن من ناحية عملية فانه حتى اتفاق جنيف (يقصد وثيقة جنيف) المتفق عليه والمعروف بـ «ميرتس ـ ياحد» يوصي بالانسحاب فقط الى الكتل الاستيطانية، فاذا لم تكن حدودا كهذه كافية، فالى ماذا يتطلع الليكود؟ فباستثناء توسيع الحدود والتحصين لغاية «شارع 443» المعروف، والذي يعتبر مطلبا لنتنياهو الذي يُصر عليه، فما هو الشيء الضروري المُلحّ اللازم، من وجهة نظر نتنياهو، لكي يوافق على تسوية اقليمية؟.

لا شك أن «وسطية» الليكود تحتاج الى ايضاحات كثيرة اضافية لاقناع الجمهور.

دان مرغليت
كاتب دائم ومقدم برامج تلفزيونية
(معاريف) 2006/1/24

نتنياهو

هناك فرق كبير بين نوعية المستوطنين اليهود في القطاع وبين هؤلاء في الخليل ومحيطها

■ أخيرا، وبسبب ازدياد الضغوط المباركة التي مارستها جهات مختلفة ومتعددة، استيقظ، في نهاية الأمر، كبار المسؤولين في اجهزة مختلفة ومن كبار المسؤولين في الدولة (والأمن) ووافقوا على الشعور بالأذى، وأحسوا بالقدر الكبير من السوء الذي ساد ولا يزال يسود مدينة الخليل، وكذلك فهموا مدى الضرر اليومي الذي يُلحقه «فتيان» المستوطنين و«فتياتهم» بالمواطنين العرب الفلسطينيين في مدينة الخليل، وكان من بين الذين أعربوا عن انزعاجهم وتكدرهم من هذه الممارسات، وزير الدفاع شاؤول موفاز، ورئيس هيئة الاركان حلوتس، حيث أصدرا التعليمات لقوات الجيش بفحص هذا الموضوع والتصدي له وإلقاء القبض على المشبوهين والمذنبين، وذلك من خلال الاعتقاد الجازم بأنه ليس من المعقول أن يقوم الفلسطينيون أنفسهم وبأيديهم بحرق محلاتهم واقتلاع اشجار زيتونهم فقط من اجل الدعاية وتشويه سمعة المستوطنين!. ربما لم نلاحظ وجود فروقات واضحة بين نوعية المستوطنين اليهود في قطاع غزة وبين نوعية المستوطنين اليهود، وبناتهم، في مدينة الخليل ومحيطها. فالفريق الاول، المستوطنون في القطاع، كانوا يشعرون في أعماقهم بأنهم لا يقيمون في ارض الآباء، وأن مستوطناتهم ليست جزءا من ارض اسرائيل. وباستثناء حالات شاذة لا تعتبر كبيرة، فانه لم يحصل أي تصادم مع الجيش الاسرائيلي هناك، ولم يقم هؤلاء (يوميا) بالاعتداء على جيرانهم من المواطنين الفلسطينيين.

وفي المقابل، فان المستوطنين اليهود في الضفة الغربية، وخصوصا في مدينة الخليل، يشعرون بعمق وبكل الأحاسيس والاعتقاد الراسخ في كل جزء من تفكيرهم وأجسادهم بأنهم يعيشون على جزء من ارض اسرائيل القديمة، وأنهم سيدافعون عن ذلك بكل قوتهم وعزمهم ويضحون من اجلها، وأن هؤلاء يعتقدون بأنه يمكن التخلي في ظرف معين عن «مدينة المملكة والسيادة»، أي عن القدس، ولكن أن يتنازلوا عن «مدينة الآباء»، أي الخليل، فهذا غير وارد ولا يفكرون به للحظة.

ان ارتباطهم بالارض وتمسكهم بها يستند بالأساس الى الاعتقاد بأن اغلبية الجمهور الاسرائيلي لا تعرف عنهم ما يكفي. فهؤلاء يرون أنفسهم «رُسل النبوءة»، فهم ليسوا رُسلا لنبوءة صهيونية، ولا حكومية، ولا سياسية، بل رُسل النبوءة التوراتية الاسطورية القديمة. هم يُشبهون استيطانهم في الخليل بذلك الذي قام به «يهوشع التوراتي» على قمة الجبل، ونظرة الى أسماء مستوطناتهم تشهد على ذلك، سواء بطريقة تسمية ولفظ أسماء هذه المواقع أو بالمعنى والمضمون الذي تعنيه والذي لا نراه ونفهمه بين صفحات العهد القديم، و«يهوشع» بالنسبة اليهم هو «فنارة مضيئة» ذات قوة تستطيع «إضاءة العالم من طرفه الاول الى طرفه الآخر»، وهذه المجموعة من المستوطنين اليهود التي تحفظ نصوص التوراة القديمة عن ظهر قلب قد قررت، كما يبدو، أن تحب يهوشع المخلص التوراتي والذي ترى فيه وريثا لـ «موشيه الصحراوي».

حسب نصوص هذه التوراة القديمة التي يعتقدون بها، فان «يهوشع» خاض معارك وحروبا طويلة وقاسية ضد السكان المحليين الذين كانوا هناك الى أن تمكن من طرد قسم منهم وأباد قسما آخر، وتمكن جزء ثالث من النجاة. وأنه هو الذي رفع العلم الذي كتبت عليه التوراتية «كل موقع تدوسه أقدامكم هو موقع أعطاه الرب لكم» (من يهوشع، الجزء أ ـ الثاني). وهذا في حقيقة الأمر يعتبر الأب الأكبر للاستيطان والمستوطنين. «وأنت بقدرتك ستقود هذا الشعب وتُوطّنه هناك»، هكذا تقول لهم آيات التوراة، وهذه هي الآيات التي بفضل تبنيها والاعتقاد بها جلب الدمار على أريحا وحرقها حتى الأساس.

وهكذا سلك، ايضا، بالنسبة لـ «حصن هعي»، وحتى لا تكون هنا ضبابية في الفهم، فان يهوشع يظهر هنا على أنه «يستحوذ على الثقة»، وأنه هو الذي «يعيد للشعب حقه» الذي كان قد «سُلب منه»، مع أن التاريخ يوضح بأن لا أحد من الآباء قد سكن أو عاش هناك، وأن سكان حصن هعي لم يحتكوا في يوم من الايام بيهوشع، ومع ذلك، فقد جرت تصفية جسدية للسكان، وأُبيدت المزروعات ونُهبت الاموال. وبذلك فان «سكان التلال» تحولوا الى خاطفي الاشجار ومجففي مياه الآبار.

وبطريقة «يهوشع» الدموية ومجموعاته الاستيطانية سُلبت ونُهبت «مكده، ولبنه، ولكيش»، وايضا جيزر وكذلك الخليل، حيث أنهم لم يتركوا فيها شيئا يدل ويشهد على وجود ما كان، ولم يتركوا خلف